

«الشهقة الأولى» ومحاذير الكتابة الفيسبوكية



www.balagh.com

عندما قرأت قبل عامين تقريباً كتاب "في قلب هذا الكتاب أعيش"، وجدت فيه حلماً لفتاتين قرويين ترين تريدان الانفكاك من أسر كلّ ما يكتبها لتمارسا حرّيتها على صفحات الفيسبوك، كان الكتاب مشتركاً بين أبيل ريدي وبيسان شتيّة، اليوم تنفرد بيسان بكتابها الجديد "الشهقة الأولى". فماذا في قلب هذا الكتاب؟

استرجع هنا فحوى كلام سابق كنت وصفت به ذلك الكتاب بأزّه يمثلّ الأدب الإلكترونيّ بكلّ ما يحمل من سمات أسلوبية وموضوعية، فما زالت بيسان تكتب أحالمها وتموّراتها الفردية، وتعدّر عن ذلك المحيط التي عبدّرت عنه سابقاً (الذات، الحبيب، الصديق، العائلة، الشهداء، الأسرى، النكبة، المخيّم، الهريمة، تمجيد الأبطال القوميّين)، كلّ تلك النصوص مأخوذة مما تنشره الكاتبة على صفحتها في الفيسبوك، وفي مناسبات متعدّدة؛ كالاعياد، ويوم العمال، وتفاعل مع الأحداث السياسيّة الطارئة، وخاصة إضراب الأسرى أو احتجاز جثامين الشهداء.

ما زالت شخصية الكاتبة كما هي، وما زالت تعاني مما عانت منه في كتابها الأول، وما زالت لغتها كما كانت قبل عامين، لغة بسيطة، بعيدة عن التصوير والمجاز في الأعمّ الأغلب، وإنّ داخلاً أحياناً بعض التهويل، ولا سيما عند الحديث عن الحبّ وإعلانها الانحياز له بكلّ ما أوتيت من طاقة وقدرة، حتى بدت رومانسية خيالية غير مقنعة. وكتبت بعض النصوص بالعامية، وأرفقت بعض النصوص بصورٍ، مما كانت تنشره على الفيسبوك.

لقد حملت الكاتبة لغتها شيئاً من ثقافتها الخامسة، وأبانت عن مصادر تلك الثقافة، سواء الدينية أم الأدبية أم الموسيقية؛ فبدت ملامح لنزار قباني من خلال أغاني كاظم الساهر، وأغاني أم كلثوم وفيروز، وحضر تميم البرغوثي ومحمد درويش وسميح القاسم وناجي العلي ومرسيل خليفة، وأحلام مستغانمي، إنّها باختصار ملامح ثقافة كلاسيكية معروفة ومشهورة بين روّاد الفيسبوك، فمن لم يقرأ لهؤلاء عملاً كاماً، فإنّه على الأقلّ قرأ بعض مقتطفات مما هو شائع على الصفحات الزرقاء، لتشكل

منه ثقافة فسيفسائية غير متجانسة، وليس له أثر حقيقي في لغة الكتاب سوى في معرفة هذه الأسماء وأسماء أعمالهم وبعض جمل متداولة من أقوالهم. إنّ هؤلاء الشباب لا وقت لديهم للقراءة أكثر من ذلك، وهذا هم يعرفون تلك الأسماء ويروّنها في كتاباتهم، وهذا ما ظهر في كتاب «الشّهقة الأولى».

لعلّ أكثر ما يحسب لموقع التواصل الاجتماعي أنّها تشجّع الشباب على الكتابة والتعبير عن آرائهم بحرّية، ولكن ما ينبغي الحذر منه أن يطّلّ هؤلاء الشباب أنّ كلّ ما ينشر على الفيسبوك صالح للنشر في كتاب ورقيّ. فلن يعي النص أنّه نص إلكتروني المنشأ والظرف، ولكن لكتاب الورقي هيبيته وأصوله التي يجب أن تراعى، وقد افتقر هذا الكتاب للكثير من تلك الأصول، مع أنّ الكاتبة لا تحمل وحدها كلّ ما فيه من أخطاء وسقطات، فالصدقّة اللّinguistic والمهمّة الداخلي لكتاب عليهما مسؤولية مباشرة عن جودة الكتاب وإخراجه بشكل لائق، مع مراعاة التصميم المعتبر لكتاب، ويتحمّل الناشر بعد الكتاب مباشرة، أو ربّما قبله، المسؤولية الكبرى؛ فلا يدفع بأيّ كتاب إلى المطبعة دون أن يتحقق ذلك الكتاب شروط النشر الأولية، وإنّ لا سيكون الناشر والمؤلف في المحصلة النهائية شريكيين في إثم إنتاج نص رديء، لن يساهم في التعبير عن الكاتب وتحقيق حلمه في أن يكون كاتباً معتبراً في المستقبل.

هذا ما حدث مع بيسان شتيّة في هذا الكتاب، فقد احتوى كتابها نصوصاً تحتاج إلى مراجعة، ليس من ناحية لغوئية فقط، (مع أنّ الكتاب مدقّق لغوياً)، ولكن أيضاً من ناحية تركيبية، وفي ذلك النص الطويل بعنوان «وأنيني الآن أنت»، الذي شغل مساحة كبيرة من الكتاب (35-58)، فيه الكثير من الخلل، سواء في تركيب الجمل، أم في إنشاء نص صالح ليكون قصّة قصيرة أو تسجيل حكاية مثيرة. إنّ هذا النص أشبه بكتلة العجين الذي بقي في طوره الأوّل، عدا ما فيه من تعدد للأصوات غير واضح الهدف، وتعدد الموضوعات الذي يشتّت القارئ، وكأنّه مجموعة نصوص مركبة من نصوص أخرى، كان ينقصها اللّاحمة والبناء المحكم.

وعلى الرغم من كلّ ما سبق قوله من ملاحظات على الكتاب، إنّه يحتوي نصوصاً جيدة على ندرتها، لا تزيد عن بضعة نصوص، ضاعت بين الرّكام اللّinguistic وفوضى البوح والسرد والتعبير غير المنظم.

وإن كان هناك ملاحظة أخيراً وجّهها للكاتبة، فإنّ عليها أن تكتب أقلّ، وعليها أن تتأمّل أكثر، وتقرأ أكثر وأكثر؛ وأن تتدّخّل من صفحة الفيسبوك مختبراً للتدريب أكثر على الكتابة ومقلّلغتها وتراركيبها قبل إيداعها في كتاب مطبوع؛ فالتأليف ليس مجرّد بوج ذاتي وسرد حكايات وأحلام مجتمعة، نضعها في علب للتخزين، إنّه صنعة تحكمها أبجديّات لابدّ من إتقانها، وإنّ لا سيطّل إنتاجنا الأدبي متواضعاً.